الأم الصغيرة

للكاتبة: خديجة عقبة

بسم الله الرحمن الرحيم
دار ساجد للنشر والتوزيع
الطبعة الأولى 1445 هـ 2023م.
الإيداع القانوني: 2023/08م
ردمك: ISBN (978-9969-509-14-4)

اسم العمل: الأم الصغيرة.
اسم المؤلف: خديجة عقبة.

المدير العام: صيام يمينة حرم برحايل
مدير النشر: عبد الحميد مشكوري
التنسيق: فريق دار ساجد
التدقيق: هدى بوبكر

صفحة الدار على موقع الفيسبوك:
FACEBOOK.COM/SADJED.EDITION
الموقع الإلكتروني: SAJEDEDITION@GMAIL.COM
الهاتف/الفاكس: 0541389203/0794210405/0664509953/033554911
الناشر: دار ساجد للنشر والتوزيع

جميع حقوق النشر الورقي والإلكتروني والمرئي والمسموع محفوظة للناشر وغير مسموح بتداول هذا الكتاب بالقص أو النسخ أو التعديل إلا بإذن من الناشر.

[الآراء الواردة في هذا الكتاب تعبر عن وجهة نظر المؤلفين فقط ولا تعبر بالضرورة عن وجهة نظر الناشر].

رواية

الأُم الصغيرة

للكاتبة: خديجة عقبة

الإهداء

إلى أمي رحمها الله..

وإلى كل شخص لم يؤمن بموهبتي ولم يؤمن بقدرتي على تحقيق حلمي

إلى كل من نعتني بالحالمة الساذجة..

إلى كل من استهزأ بي قائلا: لن تصلي، أنظري إلى المسافة التي تفصلك عن حلمك

جزيل الشكر لكم، فلولاكم لما ولد لديّ كل هذا الإصرار والعزيمة لتحقيق حلمي..

الفصل الأول

كانت السماء تمطر في تلك الليلة الباردة، عندما.. استيقظ.. زكريا على صوت صراخ زوجته حليمة، وهي تتألم، نهض مفزوعًا وأمسك يدها، قائلا: ما خطبك يا حليمة ممّا تشتكين؟!..

هزت حليمة رأسها وهي مستلقية على السرير تعض على شفتها، من شدة الألم.. وقالت وهي بالكاد تستطيع التكلم أنها آلاَم الولادة..

يا زكريا..

رد زكريا في ذهول، لكن لازال الوقت مبكرًا.. فأنتِ ما تزالين في شهرك السابع؟!!

وقبل أن ينهي زكريا كلامه أغمي على حليمة..

فزع وبدأ يهزها، وهو يصرخ قائلا: حليمة. حليمة، هل تسمعِينني؟!.. لكنها لم تكن ترد عليه..

تركها وخرج مسرعاً إلى جارهِ فريد، الذي كان يسكن بالقرب منه، طرق الباب في عجلة.. وبعد لحظات فتح فريد الباب

وقال والدهشة بادية على وجهه: ما خطبكَ يا جاري ما الذي جاء بك في هذا الوقت المتأخر ولِم تطرق الباب هكذا؟!..

أعطني مفاتيح سيارتك إن أمكن!.. زوجتي تلد ولقد أغمى عليها.. فجأة!!

رد فريد، قائلا:.. نعم نعم، انتظرني، سآتي لمرافقتك دخل فريد على زوجته نوال، التي كانت تقف مفزوعة، وفور دخوله، قالت: من كان الطارق؟!..

-إنه زكريا يقول أن زوجته تلد ولقد أغمي عليها، جهزي نفسك علينا الذهاب معهما للمشفى..

داس فريد بنزين سيارته وانطلق مسرعا إلى المشفى لإيصال زكريا وزوجته...

الفصل الثاني

استيقظت، كوثر من نومها واتجهت الى غرفة أمها تَتفقدها، كما اعتادت أن تفعل كل يوم، كانت كوثر طفلة.

في الثَانية عشرة من عمرها فائقة الذكاء والجمال، لها عينان واسعتان خضراوان وبشرة بيضاء، ووجهها منير كأنه القمر في طلته، وشعر أسود طويل يتدلى على كتفيها.

كانت فتاة مهذبة ذات خلق حسن.. دقت كوثر، باب الغرفة، وهي تنادي، قائلة: أمي لازلتِ نائمة؟! استغربت كوثر عندما لم تسمع الرد من والدتها، فهي ليس من عادتها أن تبقى نائمة حتى هذا الوقت!!

نظرت إلى الساعة المعلقة، على الجدار، وقالت محدثة نفسها، إنها الثامنة، صباحاً. أيعقل أن أمي لا تزال، نائمة إلى إلان؟!!.

أعادت طرق الباب وعندما لم تسمع الرد للمرة الثانية دفعته ودخلت، قائلة وهي تحني رأسها.: أنا اسفة على دخولي قبل أن تأذني لي، لكنني قلقت عليك عندما لم تردي عليا، رفعت رأسها وسرعان ما ارتعبت عندما لم تجد أحدًا على السرير..

خرجت من الغرفة وبدأت البحث في جميع أرجاء المنزل وهي، تصرخ وتنادي عليها بصوتٍ عالٍ قائلة:

أمي.. أين أنتِ الى أين ذهبتِ؟!

وفي هذه الأثناء خرج أخواها، التوأم، حسن وحسان من غرفتهما، كانا طفلين يبلغان من العمر ستة سنوات.. كانا يَقفان وهما يفركان أعينهما وقالا في آنٍ: واحد لكن ألن نذهب إلى المدرسة اليوم؟!!

اقتربت منهما وقالت: بعد أن نزلت على ركبتها وضمتهما إلى صدرها قائلة: لأنه لا توجد دراسة يوم الجمعة.. أنسيتما؟!

هزا رأسيهما وقالا وهما يضحكان نعم أنت محقة لقد نسينا ذلك حقا!!..

الفصل الثالث

خرجت الطبيبة من غرفة العمليات وفور رؤية زكريا لها توجه نحوها.. قائلا:

هل هي بخير متى يمكنني رؤيتها؟!

هزت الطبيبة رأسها وهي تحنيه قائلة: يؤسفني إخبارك أننا خسرنا.. زوجتك.

كانت حالتها حرجة ولم نستطع إنقاذ سوى الجنين، وهو الآن في الحاضنة سيبقى هناك حتى يكمل الأشهر المتبقية له!

انسحب الدم من وجه زكريا وتسمر مكانه كأن العالم توقف حوله فجأة..

ووقع على ركبتيه وأجهش في البكاء..

الفصل الرابع

حضّرت كوثر الإفطار لأخويها وتركتهما يتناولان إفطارهما، بينما جلست هي قرب النافذة تنتظر قدوم أحد والديها اللذان لم تعرف، حتى الآن إلى أين ذهبا؟!!

وما لبثت حتى سمعت صوت سيارة تحت المنزل.. رفعت ستارة النافذة وألقت نظرة، كان والدها ينزل من سيارة جارهم فريد، وما إن رأته قفزت بسرعة من مقعدها واتجهت نحو الباب وقبل أن يفتحه والدها فتحته وانصدم بها تقف ترمقه بنظرة حادة، ثم قالت: إلى أين ذهبتم وتركتمونا لوحدنا ثم أين هي أمي؟! أنا لا أراها معك؟؟!!

انحنى زكريا وهو يجلس على ركبتيه ووضع يديه على كتفيها، ولم يستطع أن يتمالك نفسه..

أحاطها بذراعيه وضمها إلى صدره.. وقال: وهو بالكاد يستطيع التكلم. أمك غادرتنا يا كوثر لقد ذهبت إلى الجنة..

دفعت كوثر والدها بهدوء.. وقالت: وهي تضع يدها على خده وتمسح دموعه بأصبع يدها الصغيرة، ألا تقول: أنها قد ذهبت للجنة؟!

هز الأب رأسه وقال: نعم..

إذًا لم أنت تبكي هكذا؟! توقف عن البكاء حتى لا تغضب أمي منا.

ثم أومأت برأسها قائلة: أخي أو أختي لا أحد يعلم ماذا كانت ستنجب لنا.

نعم أخاك. أنجبت لك أخًا قبل وفاتها.

اتسعت عيناها وردت في لهفة لكن أين هو أنا لا أراه معك؟!

لايزال في المشفى، الطبيب يقول أنه يجب أن يبقى في الحاضنة ريثما يكمل ما تبقى له من الأشهر..

وهل يمكنني رؤيته؟!

ليس بعد عزيزتي عليك التريث قليلا.

والآن عليّ العودة للمشفى حتى أنهي إجراءات أخذ الجثة والدفن. قال قوله هذا وانهمرت الدموع منه مجدد..

نظرت كوثر إليه وهي تبتسم قائلة: لقد أخبرتك قبل قليل إن أمي ستغضب إن بقيت مستمرًا في البكاء!..

الفصل الخامس

حضّرت نوال طعام الغداء وجلست وزوجها على المائدة.. كان فريد شاردًا في أفكاره عندما قاطعته قائلة:

ما خطبك يا رجل لِمَ أنت شارد الذهن؟!

أخذ فريد نفسًا عميقًا ثم قال:

إنّ قلبي يعتصر حزننا على جاري وصديق عمري، زكريا..

كيف سيستطيع تجاوز فقدان زوجته.. وهل يستطيع الاعتناء بأطفاله الأربعة بمفرده؟! ولا سيما ذلك الصغير الذي سيفتح عينيه ليجد نفسه يتيم الأم..!!

أنت على حق.. من المروع أن يتحمل كل هذا لوحده لذا أرى أنه من الأفضل أن يبدأ البحث عن زوجة له تعتني بيه وأولاده..

وأنا في الحقيقة لم أجد له أحسن من أختي منال. فأنا أجزم أنها ستكون زوجة صالحة له وأم حنونة على أولاده..

عقد فريد حاجبه ورد بنبرة حادة. قائلا: ما خطبك يا امرأة؟! ألا ترين أنه ليس الوقت المناسب لكلامك هذا؟!

الرجل لم يدفن زوجته بعد وأنت تخطيطين لزواجه من اختك!

كم هو غريبٌ أمرك حقا..!!

الفصل السادس

عاد زكريا إلى منزله بعد الانتهاء من مراسم دفن زوجته.. توجه إلى غرفة ولديه التوأم ليتفقدَهم.

كانا يغطان في نوم عميق بسبب الإرهاق الذي أصابهم بسبب البكاء على والدتهما.

اقترب منهما وغطاهما بعد أن قبلهما على جبينهما ثم خرج وأغلق الباب واتجه إلى غرفة كوثر.. التي كانت منهمكة، في قراءة القرآن..

بصوتها العذب ..

كانت تقرأ سورة الملك بكل خشوع.. عندما شعرت بوقع يد على كتفيها.

التفتت بسرعة لتجد والدها يقف خلفها. أنحت رأسها وبدأت تمسح الدموع التي كانت تسيل من مقلتيها.. وتظاهرت بالضحك..

ابتسم الأب وجلس بقربها ووضع يده على رأسها وقال: ابكِي يا صغيرتي ابكِي.. فالبكاء يغسل أحزان القلب، كفاكِ تظاهرًا بالقوة أنا أعلم جيدا كم كان موت أمك صدمة قاسية عليك لكنك لا تريدين إظهار ذلك من أجل أخويك..

لم تستطع كوثر تمالك نفسها أكثر وارتمت، في أحضان والدها وأجهشت في البكاء وهي تصرخ قائلة:

لكن لماذا يا أبي لم ذهبت وتركتنا؟؟ ألم تخبرني منذ أيام أننا سنعتني بالمولود الجديد معًا..؟!

مسح على رأسها وقال: هذه مشيئة الرب يا صغيرتي لا يجوز أن نعترض عليها، علينا أن نرضى بكل ما كتب لنا في هذه الحياة وأن نقول دائمًا

قدر الله وما شاء فعل. وأنت فتاة مؤمنة لذا أعلم أنك ستتجاوزَين هذه المرحلة الصعبة بكل صبر وقوة أليس كذلك يا أميرتي؟

هزت كوثر رأسها قائلة بصوت يخنقه الحزن: نعم أعدك بذلك يا أبتاه..

بعد مرور شهرين على وفاة زوجة زكريا خرج ابنه من الحضانة أخيرا وبعد أن أخبرته الطبيبة أنه بإمكانه أخذه للمنزل لكن تلزمه رعاية جيدة لأن جسمه لا يزال ضعيفًا.

أخذ زكريا الطفل بين ذراعيه وبدأ ينظر إليه وعيونه ممتلئة بالدموع وقال: ها قد بدأت المرحلة الأصعب في حياتنا يا كوثر!.

الفصل السابع

كانت كوثر تحضر طعام الغداء عندما سمعت صوت الباب يفتح.. ركضت بسرعة نحوه، وفور رؤيتها والدها يحمل الصغير بين ذراعيه اقتربت منه ورفعت يديها الصغيرتين قائلة: أعطني إياه يا أبي أريد أن أحمله قليلا..

هز الأب رأسه وقال: حسنا لك ذلك لكن انتبهي عليه وأنت تحملينه..

وفور حملها له انهمرت الدموع من عينيها ضمته بلطف وقالت: كم هو صغير وناعم، إنه دافئ كدفء حضن أمي..

جلس زكريا على ركبتيه ووضع يده على خدها وقال:

منذ اليوم ستصبحين أنت أمه عليك الاعتناء به جيدا كما كانت تريد والدتك من قبل.

هزت كوثر رأسها وقالت: ولا زالت الدموع في عينيها: بالطبع سأفعل، لا تنسى إنه أخي الصغير ومنذ اليوم سأكون أمه قبل أن أكون أخته ليس وحده بل سأكون أمًا لجميع إخوتي وسأعتني بهم مثل ما اعتادت أمي على ذلك، أعدك يا أبي.

ابتسم زكريا وقال: كم أنا فخور بك يا ابنتي.

الفصل الثامن

جلست منال وأختها في غرفة الجلوس، بعد الانتهاء من تحضير العشاء قالت نوال لأختها: ما رأيك بأخذ القليل من الطعام لعائلة زكريا لقد سمعت أنه أحضر ابنه الصغير هذا الصباح من المستشفى.

ابتسمت منال وقالت: وما شأني أنا؟ إنهم جيرانك أنت لا أنا!

أعلم لكن ما ضرر إن ذهبتِ معي؟

حسنا لا بأس سأذهب معك لكن لا تطلبي مني شيئًا كهذا مرة أخرى..

ابتسمت نوال وقالت:

لا أظن أنني سأضطر لذلك بعد الآن!

رَمقتها منال بنظرة تعجب ! بعد قولها هذا وقالت: ماذا تقصدين؟!

لا شيء، هيا جهزي نفسك ريثما أسكب الطعام. الذي سنأخذه معنا..

كانت كوثر تحضر زجاجة الحليب لأخيها عندما سمعت صوت الباب وقبل أن تذهب لفتحه سبقها والدها الذي كان يجلس بالقرب منه وفور رؤيته للأختين ألقى التحية وقال: تفضلا بالدخول كوثر بالداخل.

ردت نوال وهي تبتسم، لا داعي لذلك الوقت متأخر. منال طبخت طعام العشاء وأصرت على أخذ حصة منه لك أنت والأطفال. نظرت منال بتعجب إلى أختها وقبل أن تتحدث قاطعتها قائلة: إن اختي فتاة حنونة وقلبها طيب لذا لم تستطع أن تدخل لقمة لفمها قبل أن تأخذ لكم الطعام وتطمئن على الصغير.. بالمناسبة ماذا اسميته؟!

ابتسم زكريا وقال: اسمه. غيث..

ما شاء الله اسمه جميل حقًا.. من اختاره؟!

في هذا الوقت جاء صوت من خلف زكريا قائلا: أنا..
التفت زكريا.. كانت كوثر تقف بقربه، اقتربت ومدت يدها وسلمت على نوال وأختها وقالت: تفضلا بالدخول لم تقفان بالخارج...؟
ردت منال التي بدا الانزعاج على وجهها: لا نشكرك على لطفك، لكن علينا العودة إلى المنزل لقد تأخرنا.. أخذت الصحن من يد أختها وأعطته لكوثر ثم جذبت أختها من ذراعها وانصرفتا..
استغربت كوثر وقالت: وهي تحدق في والدها هل تصرفت معهم بشكل غير لائق؟!
هز زكريا رأسه وقال: بالتأكيد لا.. لم تقولين هذا؟
أغلقت الباب وقالت إذًا لم انصرفتا بهذه الطريقة وكأنهما يتهربان من شيء.؟!
ضحك زكريا وجلس وأمسك جهاز التلفزيون وأشعله وقال: الجارة نوال ثرثارة، تحب أن تحشر أنفها في كل كبيرة وصغيرة ويبدو أن أختها منال تختلف عنها، لذا انزعجت من تصرف أختها وسحبتها قبل أن تفتح موضوعًا جديدًا، وهي لاتزال واقفة عند الباب..
ضحكت كوثر وقالت: معك حق.. تبدو منال هادئة وعاقلة أكثر من نوال.. تبدو رائحة الأكل شهية حقًا!
صحيح تقول نوال، إن أختها من طبخته لكن أشك في ذلك.
وضعت كوثر الصحن على طاولة الأكل وقالت: ولم تشك؟!
ابتسم وقال: لقد رأيت علامات التعجب على وجه منال عندما قالت أختها أنها من طبخت الطعام.

لكن لم قد تكذب الخالة نوال؟!

هز زكريا كتفيه وقال صدقني لا أعلم يا صغيرتي للنساء تصرفات غريبة لا يستطيع أحد فهمها..

أتمنى ألا تصبحي مثلهم عندما تكبرين.

أطلقت كوثر ضحكة هستيرية. ووقفت خلفه ولفت يديها حول عنقه ووضعت رأسها على رأسه وقالت: وهل كانت أمي مثلهم؟!

قال: بالطبع لا أمك كانت امرأة مثالية لا تشبه أحدًا ولا أحد يشبهها، حسنا وكيف تتوقع أن أكون مثلهم وقد أنجبتني تلك الملكة التي لا تشبه أحد؟!

ابتسم وهو يقبل يدها وقال: أنت محقة يا أميرتي.. أنا متأكد أنك لن تكوني إلا نسخة منها..

الفصل التاسع

فور دخول منال وأختها المنزل حتى بدأت تصرخ قائلة: هل لي أن أعرف ماذا كنت تقصدين بكلامك؟

جلست نوال وقالت أي كلام؟!

ضربت منال الطاولة بيدها وقالت: وهي تصرخ بصوت عالٍ، أرجوك توقفي عن التظاهر بعدم المعرفة عن ماذا نتحدث لم كذبت على زكريا وقلت أنّني من طبخ الطعام وأصررت على أخذ حصة له ولأبنائه؟!

منذ متى وأنا أهتم بأمر أشخاص لا أعرفهم؟! ولاسيما إن كانوا اطفالاً؟؟ أنت تعلمين أنني لا أحبهم.

أخذت نوال نفسًا عميقًا وقالت: كيف لك أن تكوني بهذه القسوة إنهم أطفال أيتام؟!

هذا ليس من شأني.. أحذرك للمرة الأخيرة إياك وإدخالي في ألعابك القذرة فأنا أعلم جيدا إلى ماذا ترمين..

وقفت نوال وأمسكت معصم يد أختها وقالت: وأنا أحذرك على التطاول علي.. لا تنسي أنني أختك الكبرى وعليك احترامي..

دفعت يدها وقالت: عندما تفعلين شيئًا يستحق الاحترام سأحترمك..

أثار كلام منال غضب أختها وقامت بصفعهاَ.. قائلة: وما الذي فعلته حتى تتحدثي عني بهذه الطريقة؟! أيتها الوقحة..

دفعت منال أختها وتوجهت فورًا نحو غرفتها وبدأت تجمع أغراضها.

في هذه الأثناء وصل فريد إلى المنزل، وحين دخوله وجد نوال تجلس على الكرسي وهي تضع وجهها بين كفيها وتبكي.. شعر بالقلق.. وضع المفاتيح

التي كانت في يده على الطاولة.. اقترب منها وأمسك يديها قائلا: ما خطبك؟.. لم تبكين؟!

ارتمت في حضنه وبدأت تصرخ بصوت عالٍ قائلة: هل أبدو إنسانة غير محترمة؟! أخبرني أرجوك..

استغرب فريد من كلامها وقال: لكن لم تقولين هذا عن نفسك من قال ذلك؟!

وقبل أن تجيب عن سؤاله قاطعتها منال قائلة: أنا من قال ذلك.

التفت فريد ورد في تعجب أنت.. لكن لماذا؟؟ ولم تحملين تلك الحقيبة؟!

ما الذي يحدث هنا؟ فَلتشرح لي أحدكن..

تقدمت منال نحو الباب وقالت زوجتك ستشرح لك فأنا عليّ العودة إلى بيت عمتي ورجاءً لا تحاول منعي فأنا يستحيل أن أبقى دقيقة واحدة في هذا المنزل بعد ما تعرضت له من إهانة..

الفصل العاشر

استيقظت كوثر في الصباح الباكر على صوت بكاء غيث الذي كان ينام في سرير صغير بالقرب منها، فور سماعها وقفت متجهة نحوه، وبعد أن تفقدت حفاظته ورأت أنها بحاجة إلى التغيير قامت فورا بتغييرها له.

بعد أن نظفته جيدا ذهبت إلى المطبخ وجهزت زجاجة حليبه.. في هذه الأثناء دخل عليها التوأم حسن وحسان وبصوت واحد قالو اسكتي ذلك الطفل المزعج وإلا قمنا بضربه.

ابتسمت واقتربت منهما بعد أن وضعت زجاجة الحليب داخل كوب ماء بارد وقالت: لا تكررا هذا القول مرة أخرى وإلا غضبت منكما.. اتفقنا؟..

هزا رأسيهما قائلين: لكنه مزعج ونحن نكرهه..

لكنه أخوكما وهو لايزال صغيرًا وكل الأطفال يبكون عندما يكونون صغارًا لأنهم لا يستطيعون إخبارنا بما يريدون إلا بهذه الطريقة. أنتم أيضًا كنتم تبكون مثله عندما كنتما صغيرين..

صرخا في وجهها بغضب قائلين: لكننا لم نتسبب في موت والدتنا كما فعل هو، تجمدت كوثر مكانها ولم تعد تعلم بماذا ترد عليهما.

وبعد صمت لم يطل كثيرا.. ردت بهدوء قائلة: والدموع تملأ عينيها: لا أريد سماع هذا الكلام منكما مرة أخرى.

والدتنا توفيت لأن هذا ما كتب الله لها.. غيث لا علاقة له بموتها..

ضرب حسان بقدميه الأرض وصرخ قائلا: بل له علاقة هو السبب لو أنه لم يولد ما كانت أمي لتموت.

وضعت يدها على خده وقالت بعد أن اختلطت دموعها مع ابتسامتها الرقيقة: أنت لا تفهم شيئًا يا صغيري، دفع يدها

وقال: بل أفهم أنا لست صغيرًا.. وركض بسرعة نحو غرفة غيث وفور دخوله بدأ يحرك السرير الذي كان ينام فيه وهو يبكي قائلا: نعم أنت السبب أنا أكرهك أكرهك.!

لحقت كوثر به، أمسكته من يديه وحاولت ضمه وتهدئته، لكنه كان يتصرف بشكل عنيف كأنه ثور هائج دفعها بقوة وبدأ يضربها قائلا: إياك والاقتراب مني ما دمتِ تعتنين بهذا المعتوه اللعين..

كان حسن يقف خلفهما وهو يبكي ويصرخ بصوت عالٍ.

ارتعب زكريا الذي كان لا يزال داخل غرفته ولم يكن يعي ما يحدث وفور سماعه صوت حسن خرج من الغرفة بسرعة وتوجه إلى غرفة غيث التي كان يصدر منها ذلك الصراخ.

وحين دخوله ورؤيته ما يحدث صرخ قائلا: ما الذي يحدث هنا هل جننتم؟ لم كل هذا الصراخ؟ واقترب من حسان وجذبه من معصم يديه وقال: كيف تجرؤ على ضرب أختك الكبيرة؟!

هي لم تعد أختي بعد اليوم! أنا لا أحبها لأنها تعتني بذلك المعتوه الذي تسبب في موت أمي..

رفع زكريا يده وكاد أن يصفعه لولا أن كوثر تدخلت وأمسكت بيده قائلة: أرجوك يا أبي لا تفعلها حسان صغير ولا يعي ما يقول..

عض زكريا على أسنانه وقال وهو يعصر على يديه: خذيه من أمام وجهي لا أريد رؤيته.

أمسكت كوثر بيد حسان وخرجت به من الغرفة، انتفض حسان منها وركض بسرعة نحو غرفته وأغلق الباب عليه.. طرقت الباب كثيرا وهي تقول: أرجوك افتح هذا الباب ودعنا نصلح الأمر بيننا. لكن حسان رد قائلا: اذهبي من هنا.. لا أريد رؤيتك ولا التصالح معك..

شعرت كوثر بالإحباط وعادت فورا إلى غرفة غيث.. كان والدها وحسن يجلسان قرب غيث ابتسمت ونظرت إليهما وقالت: سوف أجلب زجاجة حليبه، لقد بقيت في المطبخ، وبعد إطعامه سوف أجهز لكم الإفطار.

وقف زكريا واتجه نحوها وأمسك يدها وقال:

اعتني به هو فقط ودعي تحضير الإفطار عليّ أنا..

الفصل الحادي عشر

كانت جميلة تسقِي الأزهار عندما سمعت طرقات على الباب.. أوقفت الماء ووضعت المرش على الأرض وذهبت لفتح الباب وفور فتحه دهشت برؤية منال فردت قائلة: مرحبا عزيزتي منال لكن لِم عدتِ بهذه السرعة ألم تقولي أنّك سَتمكثين لمدة شهر عند اختك؟!

دفعت منال الباب ودخلت قائلة: طبعك لا يختلف كثيرا عن طبع ابنة أخيك يا عمتي، ألا تستطيعين الصبر حتى أدخل وبعدها اطرحي عليّ أسئلتك!

أغلقت جميلة الباب ولحقتها قائلة: أعتذر يا صغيرتي لكنني دُهشت عندما رأيتك لم يمر على ذهابك إلا يوم واحد وليس من عادتك أن تعودي بهذه السرعة..

جلست منال بعد أن وضعت حقيبتها على الأرض وقالت: لن أذهب لذلك البيت بعد الآن!

لكن لم ؟!

أفضل عدم الإجابة عن سؤالك سوف أذهب إلى غرفتي وأخلد إلى النوم فأنا مرهقة جدا.. وقفت منال وأخذت حقيبتها وتوجهت نحو غرفتها. وفور ذهابها رفعت جميلة سماعات الهاتف واتصلت بنوال.. وبعد دقائق من رنين الهاتف ردت نوال. قائلة:

طاب صباحك عمتي..

وصباحك عزيزتي..

لقد اتصلت لأجل..

وقبل أن تكمل كلامها قاطعتها نوال قائلة: أعلم لم اتصلتِ لمعرفة ما حدث بيني وبين منال..

ردت جميلة قائلة: بالضبط هذا سبب اتصالي.

سردت نوال على عمتها كل ما حدث

وأضافت: تعلمين جيدا أنني لا أريد إلا مصلحتها وكل ما فعلته فقط لأجل أن يحبها زكريا ويطلب الزواج منها..

الفصل الثاني عشر

ذهبت كوثر إلى جارتهم نوال بعد عودتها من المدرسة لأخذ غيث الذي أصبحوا يأخذونه كل صباح لها لأجل الاعتناء به، كان هذا اقتراح والدها لأنه لم يجد حلاً أفضل، فهو يعمل من الصباح إلى المساء وهي وأخويها يذهبون إلى المدرسة في الصباح والمساء..

طرقت الباب وبعد لحظات فتحت نوال قائلة: مرحبا عزيزتي كوثر أرى أنك عدت مبكرا اليوم من المدرسة!

ابتسمت وقالت صحيح لم تحضر أستاذتي لقد أخبرونا أنها مريضة لذا ستتغيب اليوم.

آه حقا.. حسنا ادخلي ريثما أعد لك طعام الغداء وتأخذيه معك..

لا أشكرك خالة لكن لا داعي لذلك سوف أطهو طعام الغداء بنفسي جئت لآخذ غيث أرجو أنه لم يتعبك كثيرا اليوم؟!

لا أبدا إنه طفل هادئ ولا يبكي كما أنني تعودت على وجوده معي وأصبحت أحبه ومتعلقة به كثيرا.

أنت تعلمين أنني لم أرزق بأطفال. لذا اعتبرك وإخوتك مثل أولادي..

ابتسمت، كوثَر وقالت: أشكرك على لطفك خالة.. وأنا أيضا أحبك..

أخذت كوثر غيث ورجعت إلى المنزل، أعدت طعام الغداء وحمامات غيث وأطعمته حليبه وفور نومه بدأت بتنظيف وترتيب المنزل.. وحين انتهت من ترتيب الردهة توجهت لغرفة أخويها وبينما هي ترتبها وتجمع ملابسهما وقعت ورقة من جيب قميص حسان، كانت ورقة بيضاء

رسم فيها طفل صغير ينام في سريره وكان هناك طفل أكبر منه طعنه بسكين في القلب. وكتب تحت الرسمة أعدك سيأتي هذا اليوم قريبا..
تجمدت مكانها من هول الصدمة وقالت في نفسها أيعقل أنه يقصد غيث؟! تركت الغرفة وركضت بسرعة نحو غرفة غيث وفور دخولها أسرعت وحملته وضمته بقوة لصدرها وهي تبكي قائلة: أعدك أنني لن أدع مكروهًا يصيبك ما دمت حية..

الفصل الثالث عشر

بعد عودة زكريا وحسن وحسان جلس جميع أفراد العائلة حول المائدة، لتناول الغداء.. بدأت كوثر تقدم لهم الأكل وحين اقتربت من حسان لتسكب حصته دفع يدها قائلا: أستطيع فعل ذلك بنفسي ضعيه فقط وابتعدي عني.

رفع زكريا حاجبيه ورمقه بنظرة استغراب وقال: ألا ترى أنك أصبحت تتصرف بقلة أدب هذه الأيام؟! منذ متى تتصرف بعدم تهذيب مع أختك؟! ضرب حسان المائدة بيده وقال: أخبرتك من قبل أنها لم تعد أختي..

أثار كلامه غضب زكريا وصرخ في وجهه قائلا: اغرب عن وجهي وإلا رأيت مني مالا يروق لك..

تدخلت كوثر وقالت: أرجوك هدئ من روعك يا أبي لا تنسى أنه مازال صغيرًا..

وقف زكريا وقال: بل أنا من أرجوك لا تتدخلي هذه المرة ألا ترين كم أصبح هذا الصبي عديم التربية يجب أن أوقفه عند حده وإلا تمادى أكثر..

ركض حسان نحو غرفته وقبل أن يغلق الباب عليه دفعه زكريا وأمسك ذراعه وقال: سوف تخبرني حالا لم تتصرف بهذه الطريقة مع اختك؟!

صرخ قائلا: لقد أخبرتك من قبل عن السبب أنا أصبحت أكرهها لأنها تعتني بذلك الطفل الذي كان سبب موت أمي وكلما اقتربت مني أشتم رائحته فيها أنا اشمئز منهما ولا أطيق اقترابهما مني!

هو تسبب في موت أمي وهي تريد أخذ مكانها حتى أنها لم تبكِ عندما علمت بموتها.

أصغِ إلي جيدا هي لم ترد البكاء أمامكما أنت وأخوك حتى لا تزيد من حزنكما وليس لأنها لا تحب أمها..

اسمعني: كوثر تحبكم وهي تسعى جاهدة حتى لا تشعُرا بغياب والدتكما، لذا لا أريد أن تعاملها بهذه الطريقة القاسية مرة أخرى اتفقنا؟

هز حسان رأسه وهو يبتسم وقال: اتفقنا..

الفصل الرابع عشر

كانت منال مستلقية على الفراش عندما دخلت عمتها عليها وهي تصرخ قائلة:

انهضي.. علينا الذهاب فورا إلى منزل أختك لقد اتصل فريد الآن وأخبرني أنه أغمي عليها فجاءة وأخذها للمشفى.

نهضت منال وجلست على طرف السرير وهزت كتفيها قائلة: وما شأني أنا؟!، رفعت جميلة حاجبيها باستغراب، وقالت:

أنا أخبرك أن أختك أغمي عليها وتم نقلها للمشفى وأنت تقولين ما شأنك؟ كيف لك أن تكوني بهذه القسوة؟ أليست هي من قام بالاعتناء بك بعد وفاة أبويك؟!

ابتسمت منال وردت قائلة: لم يطلب منها أحد ذلك، فلو كان الاختيار بيدي وقتها لفضلت أن أكبر في الشوارع بدل اعتنائها بي، الذي أصبحت تمنن به علي.

جلست جميلة قربها وأمسكت يدها قائلة: أتحبينني؟!

بالطبع أحبك أنت تعلمين جيدًا أنني لا أحب أحدًا سواك..

ضمتها وقالت: إذًا دعينا نذهب لأختك ونطمئن عليها افعلي هذا لأجلي إن كنت تحبينني حقا..

الفصل الخامس عشر

بعد الانتهاء من الإفطار وأعمال المنزل جهزت كوثر غيثًا، وذهبت لغرفة والدها الذي يستعد للذهاب للعمل. دقت عليه الباب قائلة:

أبي لقد أصبح غيث جاهزًا يمكنك أخذه للخالة نوال فأنا لا يمكنني ذلك لقد تأخرت كثيرا عن المدرسة.

فتح زكريا الباب وابتسم قائلا: حسنا أيتها الأم الصغيرة سوف آخذه لها الآن.

يمكنك الذهاب وأنت مرتاحة البال.. ابتسمت وقالت: شكرا لك أبي وعانقته قائلة: أنا أحبك كثيرا.

قبل جبينها وقال: وأنا أيضا..

أخذ زكريا غيثًا وأغراضه وخرج متجهًا إلى منزل فريد، وفور وصوله دق الباب وبعد دقائق فتحت منال عليه، كانت علامات الانزعاج بادية على وجهها وحين رآها زكريا على تلك الحالة تلعثم في الكلام وقال: أعتذر على إزعاجك في هذا الوقت يبدو أنك كنت نائمة وأنا أيقظتك؟!

ابتسمت ابتسامة سخرية وقالت: بالضبط هذا ما فعلته، وأفضل أن تحتفظ باعتذارك لنفسك فهو لا ينفعني بشيء..

ابتسم زكريا وقال: حسنا لك ذلك أنا اعتذرت لأنه كان من واجبي الاعتذار بعد إغاظتك حتى لو كان بدون قصد بغض النظر عن إذا كان سيفيدك اعتذاري أم لا.. والآن هلا ناديتِ لي نوال؟!

ابتسمت وقالت: ولم تريد مقابلتها وهل يعلم فريد أنك تريد مقابلة زوجته؟!

هلا فعلت ما طلبت منك وتوقفت عن أسئلتك الغبية!

انزعجت منال من رد زكريا وصرخت بصوت عالٍ قائلة: لا يوجد أغبى منك والآن انصرف من هنا فأنا لن أنادي لأحد وقبل أن تغلق الباب في وجهه أمسكت عمتها بيدها قائلة: ما هذا التصرف الفض يا فتاة؟!

دفعتها إلى الداخل وخرجت وألقت التحية على زكريا وقالت: أعتذر نيابة عنها يمكنك إخباري بماذا يمكنني مساعدتك يا بني؟!

نظر زكريا لساعة يديه وقال: أشكرك على لطفك يا خالة لكن لا أريد إلا رؤية نوال لقد اعتدت على ترك ابني غيث عندها قبل ذهابي إلى العمل هلا أخبرتها؟!

أومأت برأسها وقالت اعتذر لكن هذا لا يمكن.. ألم تعلم أنه أغمي عليها البارحة وهي في المستشفى الآن.؟!.

دهش زكريا لما سمع وقال: لكن ما الذي حدث لها؟!

لقد ارتفع ضغط دمها لكن لا تقلق إنها بخير لقد كنت معها قبل قليل أخبرنا الطبيب أنه يمكنها الخروج في الغد..

أخذ زكريا نفسًا عميقًا ثم قال: الحمد لله حسنا أخبريني بأي مشفى هما الآن علي الذهاب للاطمئنان عليها.

بالتأكيد سوف أكتب لك عنوانه في ورقة ويمكنك ترك الصغير معي سأعتني بيه ريثما تعود.

ابتسم زكريا وقال: أشكرك حقا سأكون ممتنًا لك..

ترك زكريا غيث عند جميلة واتجه فورا للمستشفى الذي يتواجد فيه فريد ونوال. وحين وصل سأل موظفي الاستقبال عن الغرفة التي ترقد نوال فيها.

أخذته احدى الممرضات لها.. طرق الباب قائلا: مرحبا هل يمكنني الدخول؟

وعندما سمع فريد صوته وقف بسرعة وفتح الباب قائلا: بالطبع يمكنك.

احتضن زكريا فريد وقال: سلاماتها يا رجل لِمَ لم تخبرني بما حدث؟

لم يكن الأمر خطيرًا لذا لم أرد إزعاجك.

عن أي إزعاج تتحدث يا رجل أنسيت أنك أخي ومن المستحيل أن انزعج منك..

والآن بعد الاطمئنان عليها عليّ الذهاب إلى العمل لقد تأخرت كثيرا سنلتقي في المساء. بعد عودتي من العمل..

الفصل السادس عشر

كانت جميلة تجلس في الردهة وتلاعب غيثًا حين دخلت عليهما منال وقالت وهي تصفق: رائع يبدو أنك أصبحتِ مربية أطفال يا عمتي كم تقبضين مقابل هذا العمل يا ترى؟!

التفت لها عمتها وقالت: متى ستتعلمين حسن السلوك لقد أصبحتِ في سن الخامسة والعشرين ربيعا ولا زلتي تتصرفين وكأنك طفلة في سن الثامنة..

جلست منال على الأريكة ووضعت قدميها على الطاولة التي كانت توضع بالقرب منها، وقالت: وهي تمسك خصلة من شعرها وتلعب بها عن أي تصرفات تتحدثين يا عمتي؟!

لا داعي للتظاهر بالغباء أنت تعلمين جيدًا ماذا أقصد، لِم تصرفت بتعجرف مع زكريا هذا الصباح ما فعلته لم يكن تصرفًا لبقا!

وهل ما فعله هو تصرف لبق، من هو حتى يزعجني أثناء نومي؟!

أنت تعلمين جيدا أنه جاء من أجل أن يترك طفله عند نوال كما اعتاد أن يفعل دائما كيف كان سيعرف أنك موجودة في البيت أو حتى نائمة؟!

ابتسمت منال وقالت: هذا لا يبرر فعلته..

هزت جميلة رأسها وقالت: وما قلته لا يبرر فعلتك أيضًا..

وفي أثناء حديثهما طرق الباب، ذهبت جميلة لفتحه وحين فتحته وجدت الطارق كوثر، ألقت التحية عليها وقالت:

تفضلي بالدخول يا صغيرتي.. هزت كوثر رأسها قائلة أشكرك خالتي لكن ليس لدي الوقت أخبري الخالة نوال أنني جئت لأخذ غيث وقبل أن تخبرها أن نوال ليست في المنزل حتى قطعها صوت صراخ منال وهي تقول:

عمتي أين أنت تعالي وأسكتي هذا الطفل المزعج لقد أزعجني صوت بكائه..

وعندما سمعت كوثر هذه الكلام دفعت الباب ودخلت تركض بسرعة وهي تقول: غيث لا تبكِ يا صغيري أنا هنا وسرعان حملها له سكت.. وقفت منال خلفها وقالت: من الجيد أنك جئتِ لتأخذيه وإلا كنت رميت به خارجاً..

أومأت كوثر رأسها وقالت أعتذر عن إزعاجنا لكم..

ابتسمت وقالت: لا شك أنك ابنة زكريا حقا أنتما الاثنان مفلحان فقط في الاعتذار بعد فوات الأوان..

نظرت كوثر لها وقالت: ماذا تقصدين؟!

في هذه الأثناء تدخلت جميلة وقالت: وهي تمسح على رأس كوثر لا تعطِ لكلامها أهمية إنها مجنونة ولا تعي ما تقول..

والآن اجلسي معنا ريثما يعود والدك للبيت، هزت كوثر رأسها وقالت: لا. أفضل انتظاره في البيت أعتذر مرة أخرى لكم..

الفصل السابع عشر

كانت كوثر في المطبخ تعد طعام العشاء عندما دخل عليها والدها، قائلا: يا إلهي إنني اشتم رائحة شهية ماذا تطهو لنا طباختنا الصغيرة الماهرة؟!

وفور رؤيتها له ركضت نحوه بسرعة ولفت ذراعيها الصغيرتين حول خصره وقامت بضمه قائلة: لِقد تأخرت كثيرا يا أبي أين كنت كل هذا الوقت؟!

مسح على رأسها وقال: لقد كان لدي الكثير من العمل في الوكالة اليوم لذا تأخرت.. اعتذر عن تأخري عليكم يا صغيرتي..

والآن أخبريني ما الذي طبخته لنا؟!

رفعت رأسها وقالت وهي تبتسم: لقد طبخت أكلتك المفضلة، حساء الدجاج مع بعض المقبلات..

ابتسم زكريا وقال: أشكرك حقا يا أميرتي سوف استحم وأغير ملابسي ريثما تنتهين من تجهيز العشاء..

بدأت كوثر تضع الصحون على المائدة، وفي هذه الأثناء جاء حسن وقال: أتحتاجين إلى مساعدة يا أختي؟!.

هزت رأسها وقالت نعم لقد جئت في وقتك خذ تلك الملاعق وضعها على المائدة ريثما أحضر الماء.

هل لا يزال حسان نائم؟!

هز حسن رأسه وقال: لا لقد استيقظ وتركته في غرفة غيث.

بمجرد نطقه لهذه الكلمة وقع إبريق الماء الذي كانت تحمله في يدها وركضت مسرعة نحو الغرفة..

دفعت الباب ودخلت.. تسارعت دقات قلبها عندما رأت حسان يقف بالقرب من سرير غيث.. اقتربت منه وقالت: ما الذي تفعله هنا؟!

التفت حسان ورد في ارتباك وقال: لقد أردت الاطمئنان عليه.. ابتسمت وقالت ومنذ متى يهمك أمره حتى تطمئن عليه؟!

عقد وجهه وصرخ في وجهها قائلا: هذا ليس من شأنك فهو أخي أنا أيضا ليس أخاك أنت فقط.!

ضحكت كوثر ضحكة ساخرة وقالت: نحمد الله أنك اعترفت بذلك أخيرا!

ثم ضربته على رأسه وقالت أصغِ إليّ جيدا.. أنا أعلم بما يدور في رأسك الصغير هذا، لذا لا تظن أني صدقتك ويستحسن عدم دخولك لهذه الغرفة لوحدك.. فهمت؟!..

رمقها بنظرة اللامبالاة ثم قام بدفعها وخرج راكضًا من الغرفة.. كان زكريا ينشف شعره عندما رآه يركض نحو غرفته لحق به وسأله قائلا: ما خطبك يا ولد لم كنت تركض بتلك السرعة وكأن هناك من يطاردك؟!

جلس حسان على الفراش وشبك ذراعيه على صدره وقال وهو يتظاهر بالبكاء: إنها كوثر، لقد كنت ألعب مع غيث لكنها طردتني من غرفته وطلبت مني عدم الاقتراب أو اللعب معه مرة أخرى..

وضع زكريا المنشفة على رقبته وجلس قرب حسان ووضع يده على رأسه وقال: أنت جادٌ بكلامك؟!

هز حسان رأسه وقال: ولم قد أكذب عليك يا أبي؟!

استغرب زكريا من كلامه وقال: ولم قد تفعل كوثر شيئًا كهذا؟!

الفصل الثامن عشر

دخلت نوال إلى غرفتها بعد عودتها إلى المنزل واستلقت على الفراش وبعد لحظات أحضرت عمتها الدواء الذي وصفه الطبيب لها، جلست على طرف الفراش وقالت: لقد أعطاني زوجك هذا الدواء وقال يجب أن تشربيه قبل تناولك وجبة العشاء.

هزت نوال رأسها وقالت: لا أريد تناول أي شيء. أمسكت عمتها يدها وقالت أعلم أنك حزينة بسبب معاملة منال القاسية لك لكن لا أريد أن تشغلي بالك بها فهي تحبك رغم كل ذلك.

ابتسمت نوال وقالت: لا يا عمتي ليس هذا السبب البتة

إذًا ما الذي يزعجك يا صغيرتي؟!

أومأت نوال برأسها وقالت: ابني يا عمتي للمرة الثانية أخسر جنيني!

رفعت جميلة حاجبيها باستغراب وقالت: كيف؟؟

مسحت نوال دموعها وقالت: الطبيب أخبرني أنني كنت حاملاً في الشهر الثاني، لكن الجنين سقط بسبب ارتفاع ضغط الدم الذي حصل معي..

احتضنتها عمتها وقالت: لا بأس يا عزيزتي سيأتي اليوم الذي يعوضك الله فيه.

صرخت قائلة: وهي تبكي: لكن متى يا عمتي متى؟؟ لقد مر على زواجي أكثر من خمس سنوات ولم يحالفني الحظ حتى الآن أنا لا أريد شيئًا سوى أن يكون لدي طفل يملأ عليا دنيتي.

قبلت جميلة رأسها وقالت: لا تقنطي من رحمة الله يا ابنتي كل شيء يأتي في وقته، وفي هذه الحياة لن نأخذ إلا ما كتب الله لنا لذا لا يجب علينا أن نعترض على ما كتبه لنا مهما كان قاسيًا..

الفصل التاسع عشر

مدت أشعة الشمس خيوطها الذهبية في ذلك اليوم البارد من أيام الشتاء، جلست حنان قرب ابنها هيثم الذي كان يلعب في الردهة.. كان هيثم يبلغ من العمر عامين، أما والدته حنان كانت شابة جميلة ورقيقة في سن السابعة والعشرين ربيعا.

اتصلت حنان: بصديقتها أحلام التي كانت تعتبرها أختها التي لم تنجبها أمها وطلبت منهَا مرافقتها للسوق من أجل شراء هدية لزوجها بمناسبة عيد ميلاده، وعندما أخبرتها ضحكت أحلام قائلة: أي زوج هذا يا صديقتي؟؟ صدقيني هو لا يستحق كل هذا الاهتمام والحب الذي تقدمينه له.. لا أعلم ما الذي جعلك توافقين على الزواج من شخص مثله؟؟ مستهتر وعديم المسؤولية..

أخذت حنان نفسًا عميقًا وقالت: إنه الحب يا أختي. إن حبي له يحجب عني رؤية عيوبه..

الفصل العشرون

دخل زكريا غرفة كوثر، كانت تجلس على السرير وتضع وسادة على قدميها وغيث فوقها كانت تحركه بهدوء حتى ينام.

نظر زكريا لساعة يده كانت تشير إلى الثامنة والنصف صباحا، ثم قال: أليس لديك مدرسة اليوم؟!

التفت كوثر وقالت: بلى..

اقترب زكريا وجلس بقربها وقال: إذًا لم أراك ما زلت تجلسين ألا تنوين الذهاب اليوم؟!

هزت رأسها وقالت: نعم لا اليوم ولا غدا لقد اتخذت قراري.

ابتسم الأب وقال: وما هو هذا القرار؟!

أومأت برأسها قائلة: قررت ترك الدراسة يا أبي والاعتناء بغيث فقط.

ضحك زكريا وقال: وهو يضرب أنفها بأصابع يده: لا تحلمي حتى بهذا يستحيل.. أنا من يقرر هنا وأنا أرفض قرارك هذا أفهمت؟؟ والآن انهضي واذهبي لمدرستك ودعي أمر غيث لي سوف أتدبر أمره.

رفعت رأسها وقالت: ماذا ستفعل غير أنك ستأخذه لمنزل الخالة نوال وتطلب منهم الاعتناء به ريثما نعود نحن للمنزل. وهذا مالم أعد أريده يا ابي. غيث أخي ولا أريد أن يعتني به أحد غيري، لم لا تفهمني؟!.

تنهد زكريا وقال: أنت من عليك أن تفهمي أن تركك الدراسة ليس بحل، لا تريدين أن نأخذ غيث إلى منزل الخالة نوال.. حسنا لك ذلك سوف يبقى هنا في المنزل وأنت ستذهبين لمدرستك.

قالت كوثر: لكن كيف سيبقى لوحده في المنزل هل ستعتني به أنت؟؟.. وماذا عن عملك؟!

وقف زكريا واستدار ووضع يديه في جيب بنطلونه وقال: لا ليس أنا بل المربية الجديدة..

نهضت كوثر عن الفراش ووقفت أمامه وقالت: ومن تكون هذه أتمزح يا أبي؟! كيف تريد أن نتركه مع مربية لا نعرفها ولا نعرف عنها شيئًا..!

رمقها زكريا بنظرة غضب وقال: ماذا دهاك يا فتاة هل أنا أحمق حتى أضع ابني في أياد غير أمينة؟ لو لم أكن أعرفها وأثق في الشخص الذي دلني عليها ما كنت لأقبل دخولها لمنزلي.. إن كنت تظنين أنك الوحيدة المهتمة بمصلحة غيث في هذا المنزل فأنت مخطئة والآن جهزي نفسك واذهبي للمدرسة في الحال لا أريد أي تأخير بعد اليوم..

الفصل الواحد والعشرون

كانت نوال تجلس في حديقة المنزل مع عمتها وتنظر لساعتها والدموع تنهمر من عينيها، أمسكت عمتها بيدها وربت عليها قائلة:

أرجوك توقفي عن البكاء فهو لن يغير شيئًا، غيث ليس ابنك وإن قرر والده جلب مربية له فهذا شيء يخصه، مسحت نوال دموعها وقالت: كان يحضره لي كل يوم في هذا الوقت لقد اعتدت عليه يا عمتي وأصبحت أحبه كثيرا لقد اشتقت لرؤيته.. ابتسمت جميلة وقالت: حسنا وما الذي يمنعك لم لا تذهبين لرؤيته؟!

طأطأت رأسها وقالت: أخاف أن يرفض زكريا ذلك.. أنا متأكدة أنه انزعج مني بسبب تصرف منال الفض معه ولهذا فضل جلب مربية لغيث على أن يتركه معي.

هزت جميلة رأسها وقالت: لا أظنه سيمنعك.. زكريا شاب مهذب وأنت زوجة صديقه الوحيد من المستحيل أن يمانع رؤيتك لابنه كما أن منال من تصرف معه ذلك التصرف الفض وليس أنت..

معك حق يا عمتي سوف أجرب ربما كان كلامك صحيحًا.. سوف أذهب لرؤيته الآن..

لكن أرجو أن يبقى الأمر بيننا أنت تعلمين أن فريدًا طلب مني عدم الذهاب إلى منزل زكريا مرة أخرى!

حركت جميلة رأسها وقالت: بالتأكيد لا أحد سيعلم لكن ما لا افهمه هو لماذا أصبح فريد يرفض ذهابك إلى منزل زكريا

قالت: نوال لقد سألته نفس سؤالك لكنه لم يعطني إجابة مقنعة.. في الحقيقة لم أعد أفهم تصرفاته في الآونة الأخيرة أصبح غريب الأطوار نوعا ما.. ردت جميلة قائلة: ولم لا تحاولين معرفة سبب ذلك؟!

لقد حاولت لكن دون جدوى.. والآن استسمحك عمتي عليّ الذهاب بسرعة لرؤية غيث قبل عودة فريد من العمل.

خرجت نوال وتوجهت نحو منزل زكريا وفور وصولها طرقت الباب ولم تلبث كثيرا حتى فتحه زكريا ابتسم حين رآها وقال:

طاب صباحك نوال..

وصباحك أخي زكريا اعذرني على مجيئي المفاجئ لكنني اشتقت لرؤية غيث هل تسمح لي برؤيته؟!

هز زكريا رأسه وقال: بالطبع ولم لا ؟ تفضلي بالدخول إنه في غرفته مع مربيته.. شكرت نوال زكريا ودخلت وعند دخولها رأت طفلاً صغيرًا يجلس أمام التلفزيون، اقتربت منه وحملته ثم قامت بزرع قبلة على خده وقالت: ابن من هذا الطفل الجميل؟!

أغلق زكريا الباب وقال: إنه ابن المربية..

وهل هي متزوجة؟!

هز زكريا رأسه وقال: لا أخبرني فريد إنها مطلقة.

ردت نوال باستغراب قائلة: فريد! لكن من أين يعرفها فريد؟!

جلس زكريا وقال ألم يخبرك عنها من قبل؟!

حركت رأسها نفيا وقالت: لا.. لم يخبرني بأي شيء ماذا أخبرك عنها وما علاقته بها؟؟ هلا أخبرتني..

ضحك زكريا وقال: يبدو أنك فهمت الموضوع بطريقة خاطئة دعيني أصحح لك.. أولا لا تجمعهم أي علاقة.. إنها صديقة أحد زميلاته في العمل في الحقيقة عندما كنت في المشفى أخبرته أنني أبحث عن مربية لتعتني بغيث وعندما كان يتحدث مع زميلته سألها إن كانت تعرف امرأة لديها خبرة في تربية الأطفال عندها أخبرته عن صديقتها المطلقة وهو دلني عليها هذا كل ما في الموضوع..

الفصل الثاني والعشرون

دعت نوال زكريا وألاده للعشاء عندهم وبعد الانتهاء من العشاء جمعت الأطباق وبدأت تغسلهم بمساعدة كوثر وبينما كانتا تغسلان دخل فريد عليهما وقال: جهزي لنا بعض القهوة والحقي بي هناك موضوع يريد زكريا التحدث معنا فيه.

نظرت نوال إلى كوثر وبعدها إلى فريد وقالت: حسنا سألحق بك بعد الانتهاء من غسل الأطباق.

قاطعتها كوثر قائلة: لا عليك خالة سوف أكملهم أنا افعلي ما طلب منك..

حضرت نوال القهوة وأخذتها إلى زكريا وفريد اللذان كانا يجلسان في الردهة.. وضعت القهوة فوق الطاولة وجلست بجوار فريد وقالت: ما الموضوع الذي تريد التحدث لنا فيه يا أخي زكريا؟!

حمل زكريا فنجان القهوة ورشف منه القليل ووضعه على الطاولة مرة أخرى وقال: جميعا نعلم أنه قد مر عام على وفاة زوجتي حليمة رحمها الله.. وفي الحقيقة أنا لم أكن أنوي الزواج بعدها، لكن كوثر لا تستطيع تحمل مسؤولية البيت والأطفال لوحدها لذا قررت الزواج.. لكن هناك مشكلة صغيرة وهي أن المرأة التي أريد الزواج منها لديها طبع صعب لقد حاولت معها كثيرا لكنها كانت في كل مرة ترفضني بحجج غير مقنعة وبما أنكم تعرفونها لم أجد أفضل منكم في مساعدتي على إقناعها.

ابتسمت نوال وقالت: أنت لا تعلم كم أسعدتني بهذا الخبر، أنا أهنئك على اتخاذك هذا القرار الذي كان يجب أن تتخذه منذ مدة وأنا أأكد لك أن منال ستكون سعيدة بهذا ولا تقلق بشأني أقنعها أنا متأكدة أنها تحبك لكنها تكابر وتخفي ذلك فقط لأنها ذات كبرياء متمرد..

ضحك زكريا وقال: مهلا مهلا يبدو أنك لم تفهمي عمن أتحدث ليست منال المقصودة!

تفاجأت نوال من قوله وردت في ذهول قائلة: إذًا، إذا لم تكن منال فمن هي؟! هذه المرأة التي نعرفها..

ضحك زكريا وقال إنها حنان!

تجمد فريد مكانه وقال: بدهشة حنان؟!

ووقف ورد بعصبية قائلا: هل جننت يا زكريا ألم تجد سوى حنان لتتزوج بها؟!

ابتسم زكريا وقال: أين الجنون في الموضوع ثم ما الذي يمنع زواجي منها هي فتاة مهذبة وطيبة القلب كما إنها يتيمة، وتحب أطفالي وتعتني بهم بشكل جيد لدرجة أنها استطاعت كسب قلوبهم في فترة وجيزة، إضافة إلى ذلك هي أنثى جميلة ورقيقة..

كان فريد يضغط على قبضة يده وفجأة قطع حديث زكريا وهو يصرخ قائلا: كفى اخرس أرجوك..

واعلم أنه من المستحيل أن يتم زواجك من تلك المرأة. ولا تسألني لماذا؟! قال: قوله هذا وانصرف.

تعجب زكريا من ردة فعل فريد التي لم يكن يتوقعها.. ثم نظر إلى نوال وقال: لِم انفعل زوجك هكذا؟!

هزت رأسها وقالت: لا أعلم لكن ربما هناك سبب لا يعرفه إلا هو ألم تقل إنها صديقة زميلته ربما كان يعرف أمورًا سيئة عنها ولا يريد لك التورط معها.

وفي الحقيقة إنني أشاطره الرأي فأنا أيضًا لست مرتاحة لهذه الفتاة وأفضل عدم زواجك منها..

هز زكريا رأسه وابتسم قائلا: لقد فاتَحتكم في الموضوع لأجل مساعدتي لإقناعها وليس كي تعقدوا لي الأمر أكثر!

لكن يبدو أنني أسأت الاختيار.. أعتذر عن إزعاجكم سوف أتولى الموضوع بنفسي طابت ليلتك..

الفصل الثالث والعشرون

كانت حنان تتهيأ للنوم عندما سمعت الباب يطرق بطريقة عنيفة.. شعرت بالخوف والقلق وركضت نحوه بسرعة وقالت:

بصوت يرتجف: من الطارق؟!

جاء صوت من خلف الباب قائلا: هذا أنا افتحي.

ارتسمت ابتسامة على وجهها وقالت: فريد! فتحت الباب وفور رؤيتها له ارتمت في حضنه قائلة: أخيرا جئت لقد اشتقت لك كثيرا..

لكنه دفعها بقوة حتى وقعت على الأرض. وقال وهو ينظر إليها بغضب: كيف أمكنك فعل هذا بي؟!

وقفت حنان وقالت وما الذي فعلته ماذا تقصد؟!

أمسك ذراعها وضغط عليها وصرخ في وجهها قائلا: أنت تعلمين جيدا ماذا أقصد لا تتظاهري بالسذاجة. أنا طلبت منك مساعدة زكريا في الاعتناء بابنه لأنني أعتبره أخي ولم أجد أفضل منك لمساعدته بالاعتناء بابنه لكن لم أطلب منك التودد له وجعله يحبك ويغرم بك.. وليس هذا فقط بل طلب يدك للزواج أكثر من مرة ورغم كل هذا سكتّ ولم تخبريني. !

كيف لك أن تكوني بهذا الانحطاط...؟

جذبت حنان ذراعها منه وقامت بتوجيه صفعة موجعة له وقالت: والدموع تنهمر من عينيها إياك والتحدث معي بهذه الطريقة. فإذا كان يوجد شخص منحط هنا فهو ليس إلا أنت.. ألست من طلب مني

الكذب عليه وإخباره أنني مطلقة؟! بحجة أنه لن يقبل عملي عنده وأنا امرأة متزوجة؟؟ ألم تكن أنت الذي كذبت عليّ كل هذه السنوات وأخبرتني أنك أرمل وجعلتني أقبل الزواج منك في السر بحجة أن والدتك لا ترغب بزواجك من فتاة يتيمة وأنك ستحاول إقناعها وفور موافقتها ستعلن زواجك مني، ألم يكن هذا كلامك؟ وفجأة عرفت أن والدتك متوفية!

وعندما طلبت مني أن أصبح مربية وخادمة لابن صديقك وافقت فورا وبكل رحابة صدر، حتى عندما اكتشفت أن المرأة التي كانت تأتي كل يوم لزيارة غيث ليست إلا زوجتك التي أخبرتني أنها ماتت منذ سنوات.. تظاهرت أنني لا أعرف شيئًا وبقيت صابرة.. تعلم بمَ كنت أشعر وأنا أراها تلاعب ابني وتعامله بكل حب وحنان وكأنه ابنها؟؟ كنت أشعر أنني إنسانة سيئة للغاية، لقد أردت في كثير من الوقت الاعتراف لها وأخبرها بكل شيء لكن لم أكن أستطيع فعل ذلك فأنا لم أرد التسبب لك بمشاكل معها ولا حتى وضعك في موقف محرج.

لقد سكت وقبلت بكل ذلك فقط لأني أحبك ولا أريد خسارتك..

لكن ما الذي فعلته أنت مقابل كل هذا جئت لتجرحني وتتهمني بأبشع الطرق..

اقترب فريد منها وأمسك يدها وقال: أرجوك اعذريني على الكلام الذي قلته أقسم أني لم أكن أقصد ذلك لكن الغضب والغيرة أعموا بصيرتي كيف توقعت ردة فعلي وأنا أسمع صديقي المقرب يعترف لي أنه مغرم بزوجتي وأم ابني الوحيد؟ أنت تعلمين كم أحبك.

ابتسمت حنان بسخرية وقالت: ما أعرفه هو أنك لم تحبني يوما لأنك شخص أناني لا يحب سوى نفسه وأنا أعلم جيدا أنك تزوجتني فقط لأنجب لك الطفل الذي لم تستطع زوجتك إنجابه لك..

والآن انصرف من بيتي فأنا لم أعد أريد رؤيتك مرة أخرى، لقد طفح الكيل منك حقا..

الفصل الرابع والعشرون

أخذ زكريا سيارة أجرة واتجه فورا إلى منزل حنان ليتحدث معها وفور وصوله أعطى السائق أجرته. ونزل على الفور من السيارة واتجه نحو الباب وقبل أن يطرقه وجده مفتوحًا.. استغرب وقال: لكن لم قد تترك باب منزلها مفتوحًا؟! وبين ما كان يتساءل مع نفسه سمع صوت أنين آت من الردهة.. دخل وهو يقول: مرحبا حنان هل هذا أنت؟؟..

وقبل أن ينتهي من سؤاله صُدم برؤيتها مرمية على الأرض والدماء تسيل من رأسها.. ركض بسرعة نحوها ورفع رأسها بين يديه وهو يرتجف قائلا: يا رب السماء لكن من فعل بك هذا.. حنان هل تسَمعينني؟!

وضع أصابعه على رقبتها ليتأكد إن كان يوجد نبض وعندما تأكد أنها لا تزال حية وضع رأسها بهدوء على الأرض وبدأ يبحث عن الهاتف للاتصال بسيارة الإسعاف..

الفصل الخامس والعشرون

كانت كوثر تجلس بقرب النافذة تنتظر قدوم والدها وهي تنظر إلى الساعة المعلقة على الجدار أصبحت الساعة تشير إلى الواحدة والنصف ليلا، شعرت كوثر بقلق وارتباك فليس من عادته التأخر كل هذا الوقت. احتارت فيما تفعل وبعد تفكير طويل قررت الاتصال بمنزل فريد وسؤاله لعله يعرف أين والدها.. وقبل أن تحمل سماعة الهاتف سمعت طرقات خفيفة على الباب التفت وقالت:

أبي لكن إن كان هو لم قد يطرق الباب ولديه مفاتيح؟!

هزت كتفيها وقالت ربما نسي أخذهم معه.. اقتربت من الباب وسألت قائلة: من الطارق؟!

ردت نوال: هذه أنا خالتك نوال افتحي الباب عزيزتي احتاجك في موضوع.

دقت نبضات قلب كوثر بسرعة وفتحت الباب فورا وعندما رأت نوال وفريد انهمرت الدموع من عينيها وقالت: ما الخطب هل حدث شيء لأبي؟!

الفصل السادس والعشرون

دخل ضابط الشرطة إلى الزنزانة وجلس على الكرسي.
وقال: أنصحك بالاعتراف يا سيد زكريا فالاستمرار في الإنكار لن ينفعك بشيء فكل الدلائل تؤكد أنك من قام بارتكاب هذه الجريمة.
أومأ زكريا برأسه وقال: أمرك غريبا حقا يا سيدي لو أنني من أقدم على هذه الجريمة كما تقول لم قد اتصل بالإسعاف لأخذ الضحية للمستشفى وأنا أستطيع الهرب وتركها تموت!
ربما لأن ضميرك أنبك في آخر لحظة وأدركت أنك مهما هربت سيأتي يوم وتقع بين أيادي الشرطة أليس هذا احتمال وارد أيضا؟!
ابتسم زكريا وقال: بل هو احتمال كاذب.. وأنا أكرر لم أقتل السيدة حنان..
ضحك الضباط بسخرية وقال: لا بأس قل هذا الكلام أمام القاضي في المحكمة ربما يفرج عنك بعد سماعه..

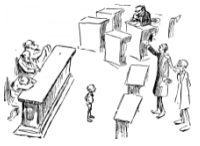

الفصل السابع والعشرون

دخلت أحلام في اكتئاب حاد بعد وفاة حنان التي كانت تعتبرها أختها الوحيدة. وبقيت تحبس نفسها داخل غرفتها لمدة شهر كل ما كان يعزيها هو وجود هيثم الذي تكفلت بالاعتناء به بعد وفاة والدته..

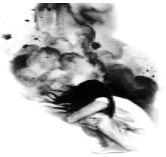

الفصل الثامن والعشرون

كانت كوثر منهمكة في أعمال المنزل وبينما هي تنظف المطبخ دخل عليها حسن وأمسك طرف فستانها وقال:

أحتاج إلى مساعدة في حل واجباتي المدرسية يا اختي هلا ساعدتني؟

التفتت كوثر وابتسمت قائلة: بالتأكيد سأفعل لكن انتظر حتى أنتهي من عملي هذا وسوف أساعدك.. اتفقنا؟!

حرك حسن رأسه وقال: نعم لكن أخبريني متى سيعود أبي إلى البيت؟ لقد اشتقت إليه. كثيرا؟

وضعت كوثر المكنسة جانبا واقتربت من حسن واحتضنته قائلة:

لا أعلم لكنني آملُ أن يعود قريبا فأنا أيضا اشتقت إليه.

وفي هذه الاثناء دخل حسان وهو يحمل غيثًا وعندما رأى غيث كوثر نادها قائلا: ماما كوثر.. الاسم الذي تحب أن يناديها به ابتسمت وهي تمسح دمعها وحملته وقالت وهي تقبله. كيف حال صغيري الوسيم؟ أنت لا تعلم كم أسعد عندما تناديني بهذا الاسم.

نظرت كوثر إلى حسان وقالت: وهي تبتسم شكرًا لك على الاعتناء به اليوم.

أدار حسان وجهه وقال: لا داعي للشكر. غيث أخي كما هو أخوك وأنا لم أفعل إلا واجبي..

الفصل التاسع والعشرون

بعد عدة أشهر من الاكتئاب والعزلة قررت أحلام أخيرا أن تخرج لزيارة قبر صديقتها حنان، وبينما هي تجهز هيثم لتأخذه معها سمعت طرقات على الباب وعندما فتحته وجدت فريد يقف أمامه وفور رؤيته أرادت غلق الباب في وجهه لكنه دفعه بقوة ودخل وأمسكها من ذراعها قائلا: كيف تجرئين على إغلاق الباب في وجهي أجننتِ يا فتاة؟!

دفعته وقالت: إياك ولمسي أيها الوغد القذر أخرج من منزلي حالا ما الذي جاء بك؟!

ابتسم فريد وجلس على الأريكة ووضع ساقًا على الأخرى وقال:

تعلمين جيدًا ما الذي جاء بي أريد أخذ ابني أتظنين انني سأتركه معك إلى الأبد؟!

ضحكت أحلام ضحكة سخرية وقالت: وإلا أين ستذهب به إلى زوجتك؟ هل ستخبرها أنه ابنك الذي أنجبته من زوجتك الثانية التي لم تكن تعلم عنها شيئًا سوى أنها مربية ابن صديقك؟!

رمقها فريد بنظرة غضب وقال: هذا ليس من شأنك آخذه أينما أشاء المهم هو ألا أتركه معك.. أتظنين أنني صدقتك عندما قلت أنّك تحبينه كابن لك؟ إذا كنت تظنين هذا فأنا أريد إخبارك أنك مخطئة، فأنا أعلم جيدا أنه يستحيل أن تحبيه فهو دائمًا يذكرك بوالدته التي لطالما خدعتها بالتظاهر بحبك المزيف لها..!

شعرت أحلام بالغضب من كلام فريد وصرخت قائلة: اخرس أيها المعتوه أنت تعلم جيدا لماذا أصبحت أكرهها.. أنت المتسبب الوحيد في

كرهي لها.. لم تركتني وذهبت لها.. ما الذي ينقصني؟؟ ما الذي وجدته فيها ولم تجده في، لقد أحببتك وضحيت بكل شيء لأجلك.. وبعد كل هذا تخليت عني وتزوجت منها هي.. كيف لي أن أحبها بعد أن أصبحت أراها المنافسة التي سرقت مني الرجل الذي كنت أحبه أكثر من نفسي؟!

جلست ووضعت يدها بين كفيها وبدأت تبكي وتقول: هي من بدأت لم يكن عليها أن تقبل الزواج منك هي تستحق ما حدث معها..

وقف فريد واتجه نحوها وجلس بقربها وأمسك يدها وهمس في أذنها قائلا: عذرك أقبح من ذنبك صدقيني لا شيء مما قلتِ يبرر فعلتك..

الفصل الثلاثون

دخلت جميلة إلى غرفة منال وفتحت النافذة وصرخت بصوت عالٍ قائلة: استيقظي كفاك نومًا أيتها الكسولة.

تقلبت منال ووضعت الوسادة على رأسها وقالت: أرجوك أغلقِي تلك النافذة واطفئي الضوء يا عمتي فأنا لازلت أشعر بالنعاس.

اقتربت جميلة منها وجذبت الوسادة من فوق وجهها وقالت: انهضي لقد جلبت لك أخبارًا جديدة لن تصدقيها تتعلق بأختك وزجها.

نهضت منال واعتدلت في جلستها وقالت: ماذا هل قررا أن ينفصلا عن بعض أخيرًا؟!

ضربتها عمتها على رأسها وقالت: ما هذا الفأل يا فتاة؟ أبعد الله ذلك عنهم لا تقولي هذا مرة أخرى وإلا ضربتك.

إذًا ما هو هذا الموضوع الذي أيقظتني لأجله؟!

جلست جميلة على طرف الفراش وقالت: منذ قليل اتصلت نوال وأخبرتني أن فريد البارحة أحضر لها هيثم ابن المرحومة حنان.

يقول أن صديقتها قررت السفر لتكمل دراستها في الخارج وهي لا تستطيع أخذه معها لذا قررت تركه عند فريد لأنها تعلم أنه لم يرزق بأطفال هو ونوال.

ابتسمت منال وقالت: ألا ترين أن هناك شيءٌ غريب في الموضوع؟!

استغربت جميلة لقولها وقالت: ماذا تقصدين؟!

ضحكت منال وقالت: في الحقيقة أشعر أنه كانت توجد علاقة بين حنان وفريد ربما كانت عشيقته.. ولهذا قرر الاعتناء بابنها..

ضحكت جميلة بهستيرية. وقالت: لم أكن أعلم أنك تملكين مخيلة واسعة لهذه الدرجة..

الفصل الواحد والثلاثون

خرجت نوال وفريد للتسوق وأخذا هيثم معهما لشراء بعض الثياب والألعاب له، كانت تشعر بسعادة كبيرة وهي تتسوق برفقتهما. وبينما هم في السوق التقوا بكوثر.. كانت تجلس وتبيع بعض الحلويات التقليدية التي تعلمت صنعها من أمها.. شعر فريد بالغضب عندما رآها واتجه نحوها فورا وقف أمامها وصرخ قائلا: ما الذي تفعلينه هنا يا كوثر.. هل قصرت في مصروفك أنت واخوتك حتى تخرجي للبيع في الشوارع بدل الاهتمام بدراستك واخواتك!

احمر وجهها وأومأت راسها وقالت: أشكرك على اهتمامك بنا لكن أفضّل الاعتماد على نفسي ريثما يخرج أبي من السجن ويعود لنا..

ركل الأغراض التي كانت تبيعها بقدمه وأمسكها من معصم يدها وقال: اصغِ لما سأقول جيدا.. خذي أغراضك واذهبي إلى السيارة وانتظريني.. لا داعي لذلك يمكنني العودة للمنزل وحدي بعد الانتهاء من عملي.

احمر وجه فريد من شدة الغضب وجذبها من ذراعها وفور وصوله السيارة فتح بابها ودفعها داخلها. بدأت كوثر تصرخ قائلة:

دعني أخرج أرجوك عم فريد أنا لا أريد أن يصرف علينا أحد بعد اليوم.

صرخ في وجهها قائلا: اخرسي أيتها الفتاة العنيدة ما كان يجب أن أسمح لك منذ البداية وأترككم تقيمون في ذلك البيت لوحدكم. لكن منذ اليوم لن يحدث إلا ما أريده وأقوله أنا..!!

أغلق فريد السيارة ثم نادى على نوال وهيثم قائلا: كفاكم تسوقًا اليوم دعونا نرجع إلى البيت.

الفصل الثاني والثلاثون

استيقظ فريد باكرًا وجهز نفسه للذهاب إلى المحكمة لحضور الجلسة الأخيرة التي سوف يقرر فيها مصير صديقه الوحيد زكريا.

انتهى فريد من ارتداء ملابسه وبينما هو يريد الخروج استوقفه صوت كوثر قائلة: أريد الذهاب معك يا عمي.

التفت فريد إليها وقال: لا تفكري حتى. وقبل أن يضع يده على قبضة الباب ركضت ووقفت أمامه وفتحت ذراعيها أمام الباب وقالت: إذًا أنت أيضًا لن تذهب.. لن أسمح لك بالذهاب ما دمت لا تريد أخذي معك..

أمسكها فريد من ذراعها وقال: لم أنت عنيدة يا فتاة؟!

ابتسمت وقالت: لأنني ابنة السيد زكريا.. ورثت العناد عنه.

ضحك فريد وقال: اتفق معك على هذا لا بأس سوف اصطحبك معي ما دمت تصرين على هذا. والآن اذهبي وأخبري خالتك نوال أنك ستذهبين معي كي لا تقلق إذا لم تجدك في المنزل..

حَركت كوثر رأسها وقالت: حاضر وركضت بسرعة إلى غرفة نوال.

وفي هذه الأثناء خرج فريد بسرعة وأغلق الباب وراءه وركب سيارته وانطلق بسرعة قبل أن تخرج كوثر وحين سمعت كوثر صوت محرك السيارة ركضت بسرعة وفتحت النافذة لترى أنه ابتعد كثيرا.

ضربت بقدمها على الأرض وهي تصرخ قائلة: تبا تبا.. لماذا خدعتني بهذه الطريقة؟!

وجلست ووضعت وجهها بين كفيها وبدأت تبكي. خرجت نوال من غرفتها مسرعة عندما سمعت صوتها وارتعبت عند رؤيتها لكوثر وهي تبكي اتجهت نحوها وجلست بالقرب منها واحتضنتها قائلة: ما خطب أميرتي لم تبكين؟

ردت كوثر ولا زالت الدموع تسيل على مقلتيها: لقد كذب علي العم فريد.. أخبرني أنه سيأخذني معه للمحكمة وعندما طلب مني أن أخبرك أنني سأذهب برفقته هرب وتركني..

مسحت نوال على رأسها وقبلت جبينها وقالت: لا تغضبي منه يا صغيرتي فهو فعل هذا لمصلحتك لا أكثر.. والآن انهضي واغسلي وجهك.. أتريدين أن يراك اخوتك على هذه الحالة؟!

هزت رأسها نفيا وقالت بالطبع لا أريد.

حسنٌ قومي واغسليه ودعينا ننتظر عودة عمك لعله يأتي وهو يحمل لنا أخبارًا سارة.

مسحت كوثر دموعها وقالت: هل تصدقين أن أبي قد يقتل يا خالة؟!

ابتسمت نوال وقالت: بالطبع لا أصدق، أنا أعرف والدك منذ زمن بعيد وأعلم جيدا أنه من المستحيل أن يقدم على جريمة بشعة كهذه كما أنني متأكدة أن عدالة الله أعظم من أي عدالة وسوف يأتي اليوم الذي تكشف فيه كل الحقائق..

الفصل الثالث والثلاثون

جلس الجميع بأماكنهم في قاعة المحكمة في انتظار دخول القاضي. كان زكريا يقف داخل قفص ويداه مكبلتان وبعد دقائق من الانتظار دق جرس إنذار دخول القاضي وقف الجميع عن مقاعدهم وبعد أن أشار القاضي بيده جلسوا.

أخرج القاضي أوراق قضية زكريا وقال: بعد الاطلاع على ملف السيد زكريا أحمد نور الدين المتهم بقتل السيدة حنان عوني.

والتأكد من جميع الاتهامات المنسوبة إليه قررنا نحن هيئة المحكمة الحكم عليه بالسجن المؤبد مع الأعمال الشاقة.

وقع زكريا على ركبتيه وبدأ يضرب رأسه ويردد هذا ظلم أقسم أنني لم أقدم على قتلها..

وعندما رآه فريد على تلك الحالة بدأ يصرخ بصوت عالٍ قائلا: هذا ليس عدلا سيدي القاضي أخي لم يقتل أحدًا.. ضرب القاضي الطاولة أمامه وقال: أخرجوه..

في هذه الأثناء دخل أحد رجال الشرطة وقال سيدي القاضي آسف على المقاطعة، لكن هناك سيدة جاءت وأعطتني هذا الطرد تقول إنه يوجد فيه شريط فيديو يظهر فيه القاتل الحقيقي للضحية حنان...

اندهش الجميع لما سمعوا وبدأ فريد يصرخ قائلا: الله أكبر لقد ظهر الحق وزهق الباطل.

ضرب القاضي الطاولة وقال: اخرس يا هذا وإلا رميت بك خارجًا!

مد يده للشرطي وقال: أعطني ذلك الطرد.
أخذ القاضي الطرد وذهب إلى مكتبه لعرض المقطع..
فتح القاضي الطرد وأخرج القرص الذي كان فيه ثم وضعه داخل جهاز الحاسوب.. وضغط زر التشغيل، اشتغل الفيديو وهذا ما جاء فيه..
أنا اسمي أحلام الصديقة المقربة للضحية حنان لقد قررت تصوير هذا الفيديو لأنني لم أعد أستطيع تحمل عذاب الضمير الذي أصبحت أعيشه منذ وفاة صديقتي، لذا قررت الاعتراف بكل شيء. والحقيقة هي أنني أنا من أقدم على قتلها بسب الغيرة.. قتلتها حتى أرجع للرجل الذي سرقته مني..
كنت أظن أن هذه الطريقة التي ستجعله يعود لي لكن ما حدث هو أني لم أحصل سوى على تأنيب الضمير بعد فعلتي هذه، والآن بعد أن انتهيت من كلامي سوف يتم عرض الفيديو الذي سجلته لي كاميرات المراقبة التي كانت تضعها في منزلها.
عرض الفيديو وكان يظهر جيدا كيف قامت أحلام بضرب الضحية حنان على رأسها بمزهرية وعندما وقعت أرضًا أمسكت رأسها وبدأت تضربه بعنف على الأرض.
وبعد انتهاء المقطع عادت الصورة عليها مرة أخرى وهي تضحك بهستيرية وتمسك سكينًا بيدها وتقول:
أظن أنكم شاهدتم الفيديو الآن وعرفتم من هو المجرم الحقيقي والذي هو أنا لكنني متأسفة حقا لأنكم لن تستطيعوا إلقاء القبض

عليّ فبعد أن يصلكم هذا المقطع الذي سأرسله لكم سأكون قد رحلت إلى العالم الآخر..

الفصل الرابع والثلاثون

كانت نوال تجلس في حديقة المنزل تلاعب هيثم وغيث عندما جاءت كوثر وقالت: هناك شخص في الخارج يطلب رؤيتك.

وقفت نوال وقالت: ألم يخبرك من هو؟!

هزت كوثر رأسها قائلة: لا لكن يبدو أنه ساعي بريد..

حسنا سوف أذهب لأعرف ماذا يريد.

ذهبت نوال لمعرفة من الذي يريد رؤيتها.. كان ساعي بريد كما قالت كوثر.. سلمها طردًا وانصرف.

تعجبت نوال وقالت في نفسها من عساه أرسله؟ شعرت بالفضول.. ودخلت فورا إلى غرفتها وفتحت الطرد لتعرف ما بداخله أدخلت يدها وأخرجت ما كان بداخله.. كانت مجموعة صور تجمع حنان وفريد يوم حفل زواجهما. تسمرت نوال مكانها عندما رأت الصور وبدأت تبكي وتصرخ بصوت عالٍ قائلة: لاااااا يا إلهي لا أستطيع تصديق ما تراه عيناي!!

فريد كيف تجرأت على فعل هذا بي؟! .

الفصل الخامس والثلاثون

بينما كانت كوثر تلاعب هيثم وغيثًا شعرت بوقع يد على كتفيها.. التفت فورا لتجد والدها يقف خلفها.. قالت والدموع تنهمر من عينيها أبي! ارتمت في حضنه وبدأت تبكي قائلة: هل هذا أنت حقا يا أبي !! لقد عدت لنا !!

ضمها زكريا بقوة وقال: بالتأكيد هذا أنا يا أميرتي..

بينما الجميع فرحين بعودة زكريا دخلت عليهم نوال قائلة: حمدا لله على سلامتك أخي زكريا التفت زكريا وقال شكرا لك عزيزتي.

تقدم فريد نحوها وهو يضحك قائلا: غريب أرى أنك لم تسألي عن التفاصيل كما اعتدت! وفور اقترابه منها رفعت يدها ووجهت له صفعة ودفعته حتى وقع أرضًا..

شعر فريد بالغضب وصرخ قائلا: أجننتِ يا امرأة. كيف تجرئين على هذا الفعل؟!

ابتسمت وقالت كما تجرأت أنت على خيانتي وخداعي طيلة هذه المدة التي عشتها معك.. ثم رمت بصور على وجهه وقالت فقط الآن فهمت لم غضبت وانزعجت عندما أخبرك زكريا أنه ينوي الزواج من حنان أيها الوغد الحقير.. كيف أمكنك خداعنا بهذه الطريقة؟!

اقترب زكريا منها وأخذ إحدى الصور التي كانت مرمية على الأرض.. تجمد الدم في عروقه عندما رأى الصورة التي تجمع فريد وحنان. وقال:

أيعقل.. لكن لماذا لم تخبرني أنها زوجتك كيف أمكنك إخفاء الأمر علي؟! وجعلي أبدو كالأبله؟!

وقف فريد وأومأ رأسه وقال: أعتذر حقا لكم أعلم أن ما فعلت لا يغتفر بهذه السهولة لكنني لم أكن امتلك الشجاعة الكافية لمواجهتكم..

ابتسمت نوال وقالت: هذا لأنك شخص منحط.. وأنا كم كنت غبية.. كان عليّ أن أشك في الموضوع عندما سمعت هيثم يناديك بابا في أول يوم أتيت به إلى المنزل كيف لم أشك في الآمر حتى؟!

اقترب فريد منها وحاول مسك يدها لكنها دفعت يده وقالت لا تقترب مني مرة أخرى.

طلقني يا فريد فأنا لم أعد أريد رؤيتك في حياتي مرة أخرى..

الفصل السادس والثلاثون

بينما كان زكريا يجلس ويشاهد نشرة الأخبار صدمه خبر عن سقوط طائرة كانت متجهة إلى فرنسا تجمد مكانه وهو يقول:

يا الهي هذا لا يمكن إنها نفس الطائرة التي تقل فريد..!!

أسرع وأمسك سماعة الهاتف واتصل بشركة الطيران ليتفقد الأوضاع.

وفور الرد على اتصاله سأل قائلاً:

مرحبا سيدي لقد اتصلت للسؤال عن الطائرة التي سقطت صباح اليوم، كان على متنها شخصًا اسمه فريد برواشي.. هل هو بخير؟!

رد الرجل قائلا: للأسف قد توفي..

وقعت سماعة الهاتف من زكريا ووقع على ركبتيه وأجهش بالبكاء قائلا:

لا لا هذا لا يعقل لم يحدث هذا دائما معي..

رفع رأسه فوق وصرخ بأعلى صوته قائلا: أخي فرييدااا....

الفصل السابع والثلاثون

أغمي على نوال فور سماعها وفاة زوجها ونقلت إلى المستشفى.. وبعد دخولها في غيبوبة لمدة أسبوعين توفيت هي الأخرى.

صدم الجميع بخبر وفاتها لاسيما عمتها وكوثر..

كان زكريا يجلس في غرفته عندما دخلت كوثر وقالت: أبي لقد أخبرتني العمة جميلة أنهم سوف يأخذون هيثم إلى الميتم وأنت تعلم كم أحبه لذا فكرت بأن نتبناه نحن ونعتني به مع غيث ما رأيك؟ أليس هذا أفضل له؟!

ابتسم زكريا وقال: تعالي واجلسي بقربي يا صغيرتي

اقتربت كوثر وارتمت في حضنه قائلة: أنا سعيدة أنك قد ابتسمت أخيرا لقد اشتقت لابتسامتك يا أبي. مسح بيده على رأسها وقبله وقال: وأنا سعيد جدا لأنني رزقت بفتاة طيبة وحنونة مثلك. لا تقلقي بشأن هيثم أعدك أ لا أحد سيأخذه غيرنا..

الفصل الثامن والثلاثون

بينما كانت جميلة تجهز هيثم لأخذه للميتم سمعت طرقات على الباب وعندما فتحته تفاجأت بزكريا..

قالت: يا لها من مفاجأة ما الذي جاء بك لنا اليوم؟!

ابتسم زكريا وقال: جئت لأجل هيثم.. عندما سمع هيثم صوته ركض بسرعة نحوه وضم يديه على ركبتي زكريا وهو يقول:

بابا زكريا.

حمله زكريا بين ذراعيه وزرع قبلة لطيفة على جبهته. وقال: لقد اشتقت لك يا صغيري.

نظرت جميلة إليه وقالت: لقد قلت قبل قليل أنك جئت لأجله..

ماذا كنت تقصد.؟!

تنهد زكريا وقال: ما أقصده هو أنني لن أسمح بأخذه إلى الميتم سوف آخذه معي للمنزل وأربيه مع ابني غيث، لا تنسي أن هيثم ابن أعز أخ وصديق لي، لا يمكنني التخلي عنه بهذه السهولة وأتركه يتربى في ميتم فقط لأن والديه قد توفيا..

ابتسمت جميلة وقالت: ومن سيعتني به عندكم؟! ابنتك؟! كوثر لا تنسى أن الفتاة لا تزال صغيرة على هذه المسؤولية.. ألا يكفيها غيثًا حتى تأتيها بهيثم أيضا!

ابتسم زكريا وقال: لا تقلقي بهذا الشأن.. صحيح أن كوثر فتاة صغيرة لكنها تملك قلبًا كبيرًا وعقلاً أكبر، هي فتاة واعية وأنا أجزم أنها ستكون أختًا وأمًا صالحة لهم..

كانت منال تقف خلف عمتها وقالت: معه حق يا عمتي يستحسن أن يربيه هو بدل أخذه للميتم. ثم اقتربت وابتسمت قائلة:

أنت محظوظ حقا لأنك والد لفتاة مثل كوثر.

أمسكت يد هيثم وقبلتها وقالت: أرجوك اعتني به جيدا..

الفصل التاسع والثلاثون والأخير

كانت كوثر تجلس أمام النافذة وتنتظر عودة والدها بلهفة كبيرة.. عندما دخل حسان وقال:

ما خطبك يا أختاه لمَ أراك مرتبكة وقلقة منذ الصباح؟!

التفتت إليه وقالت: لقد ذهب أبي لإحضار هيثم ولم يعد حتى الآن أخاف أنه قد تم أخذه للميتم.

اقترب حسان منها ووضع يده على خدها وقال: لا تقلقي أبي بطل وأنا متأكد أنه يستطيع إرجاعه حتى وإن أخذوه.

ابتسمت وقالت آمل ذلك حقا.. أخبرني هل ستحبه أمْ أنك ستحاول قتله كما كنت تريد قتل غيث قبله؟

احمرّ وجه حسان وأومأ برأسه قائلا: أرجوك لا تذكريني بتلك الحماقة أنت تعلمين حينها كنت صغيرًا ولم أكن أعي ما أفعل.

أطلقت كوثر ضحكة وقالت: أعلم.. أعلم يا أخي كنت أمزح معك فقط..

في هذه الأثناء سمعوا صوت فتح الباب.. ركضت كوثر بسرعة وهي تقول: أبي لقد أتى أخيرا. وحين رأته يحمل هيثم انهمرت دموع الفرح من عينيها وقالت: لقد فعلتها يا أبي..

ابتسم زكريا واقترب منها وقال: ألم أعدك البارحة أنني سآتي لك به

ابتسمت وقالت: أشكرك حقا يا أبتاه.

أخذت كوثر هيثم بين ذراعها واحتضنته بقوة وقالت: أعدك أنني سأكون بمثابة أم لك..

انتهت